

أحسنت (عبارات الشناء)

أحسنت وأبدعت، أجدت وأفدت،

لقد جُبلت النفوس على حب سماع المدح والثناء، لأنه يُشعرها بالكمال الذي تبحث عنه وتتمناه في كل عمل تقوم به، فإذا وَجَدَتْ مُثْنياً يُشعرها بذلك؛ ارتاحت واعتزت وتلذذت؛ حين أنجزت عملاً استطاعت به الوصول إلى قلبِ المسؤول أو المربي المادح وامتلاكِهِ من بين كل المنافسين^(١).

وعبارات المدح والثناء والتشجيع ضرورة يحتاج إلى تفعيلها الآباء والمربون والمسؤولون على شتى الأصعدة؛ اقتداء بما جاء في كتاب الله العزيز وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم؛ وإظهاراً لمنزلة المحسنين المبدعين وإذاعة فضلهم بين قرنائهم ليقتردي بهم، وتحفيزاً لهم على الاستمرار

(١) ينظر: إحياء علوم الدين ٢٨٦/٣

وزيادة العطاء.

فاسمع ثناء الله على سليمان عليه السلام { وَوَهَبْنَا
لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ } [ص: ٣٠] وعلى
أيوب عليه السلام { إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ }
[ص: ٤٤]

وعلى سائر الأنبياء عليهم السلام { وَادْكُرْ عِبَادَنَا
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥)
إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ
الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ (٤٧) وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا
الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ } [ص: ٤٥ - ٤٨]

ثم اسمع أرفع الثناء وأعلاه على محمد صلى الله عليه
وسلم { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم: ٤].

ثم اقفز بذهنك إلى المدينة النبوية حيث رسول الله صلى
الله عليه وسلم يربي فيها زمرة من خير خلق الله رضوان الله
عليهم بعبارات الثناء والتحفيز والتشجيع.

فيقول عن الصديق رضي الله عنه حين سأل: هل يدعى أحد من أبواب الجنة كله؟ فقال: ((نعم وأرجو أن تكون منهم))^(١)

ويمدح عمر رضي الله عنه في وجهه فيقول: ((ما رآك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجا))^(٢)

وهكذا يقول: ((أرحم أمتي أبو بكر، وأشدّها في دين الله عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأقضاهما علي، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرؤها لكتاب الله أبي، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح))^(٣)

ما أجملها من كلمات تصدر ممن تتنافس الأرواح إلى مجرد رؤيته؛ فكيف لو حصلت على مدحه وثنائه!
إنها كلمات تستوطن القلب فتحول صحراءه جنة من

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم (١٨٩٧)، ومسلم، حديث رقم (١٠٢٧).

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم (٣٦٨٣)، ومسلم، حديث رقم (٢٣٩٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٥٥) والإمام أحمد (١٢٩٠٤) وقال محققو المسند ٢٠/٢٥٢: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

عظيم صدقها، وقوة تأثيرها، وهذا من المدح المحمود الذي
يجمع شروطاً أهمها:

الصدق في ذلك، وعدم الإفراط فيه، والأمن من الفتنة
والغرور والكبر على الممدوح؛ وتعليق الممدوح بربه الذي
منَّ عليه بهذا التفوق والإنجاز؛ وفي الحديث الصحيح:
(مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيُقْلِ أَحْسِبُ
فُلَانًا، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا، أَحْسِبُهُ كَذَا
وَكَذَا إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ))^(١)

بارك الله لي ولكم..

(١) رواه البخاري- كتاب الشهادات، باب: إذا زكى رجل رجلا كفاه - حديث: ٢٥٤٠، رواه مسلم- كتاب الزهد
والرقائق، باب النهي عن المدح - حديث: ٥٤٣٠.

الخطبة الثانية

أما بعد:

فإن المتأمل في منهج النبي صلى الله عليه وسلم في المدح والثناء يرى فيه التوازن الذي يعالج رغبات النفوس ويربيها ويؤدبها حتى تستقيم على مراد الله.

فالمواقف التي تستدعي ثناء على الابن أو الطالب أو الموظف أمام أقرانه يجب ألا تفوّت إذا كانت تحقق أهدافها المشروعة، كما أنها يجب ألا تبذل للجميع حتى تفقد قيمتها ورونقها، ويشعر الممدوح بها أنها عبارة ^{٢٨}ممجوجة ^{٢٨}مستهلكة تقال لكل أحد.

وإنما تُعرف عبارات الثناء الصادقة من المرين والمسؤولين الذين يقولون للمحسن أحسنت، وللمسيء أول مرة: ما بال أقوام يفعلون كذا، ومع التماذي في الخطأ: بئس أخو العشيرة.

ومن ترك الثناء على مستحقه في وقت استحقاقه
بكلمات التشجيع، أو شهادات الشكر، أو دروع
التحفيز، أو مكافآت المال؛ فليعلم أنه قد قتل فيه الطموح
والإبداع والإنجاز، وحقنه بجرعة من الفتور الداعية لترك
العمل أو التقصير فيه ليلحق بركب المتكاسلين من زملائه
الذين يأخذون مثله تماما مع كسلهم وخمولهم.

وأما الثناء بعد ذهاب وقته فبارد لا قيمة له

إِذَا لَمْ يُغَبَّرْ حَائِطٌ فِي وَقُوعِهِ *** فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الْوُقُوعِ

غُبَارٌ